

بلدية بعلبك أطلقت اسمه على ساحة في المدينة

مهرجان الإبداع اللبناني 2007 كرم جودت حيدر "شاعر القرن وشكسبير العرب"



الفائزون بالجائزة مع الوزير قباني والدكتورة الامين. (ابراهيم الطويل)

كتبت الين موراني:

"يمكن الأزمة اللبنانية أن تحل إذا ما انتخب فريق من العلماء ذوي الخبرة الأكيدة في مجال الاقتصاد والنمو وبناء الوطن. عندئذ يمكن لبنان أن يتخلص من جميع الرواسب الأجنبية التي لا تريد لهذا البلد، إلا الخراب. وإلى الآن لا أرى أن من ييدهم السلطة يقدرّون على تعيين من يلزم للمساهمة في إرجاع كرامة وطننا وعزته". هذا كلام يعود إلى الشاعر الراحل جودت حيدر العام 1991. لا نذكر هذا القول فقط لمناسبة تكريم مهرجان الإبداع اللبناني الشاعر المعروف بـ"شكسبير العرب" لمناسبة مرور الذكرى السنوية الأولى لوفاة، بل لأن التاريخ لم يكرّر نفسه لذل لا يزال عند المفصل القريب، 16 سنة إلى الخلف، هو هو.

ذوبان الفجوة

اعتبر الشاعر الذي ارتاح للكتابة باللغة الإنكليزية بعدما عاش مدة طويلة في أميركا أن "اكتساب اللغة من خلال المتابعة والبحث المتواصلين أدى إلى إذابة الفجوة بين اللغة والفكر... أصبحت اللغة هي الفكر والفكر هو اللغة"، كرمه "ديوان أهل القلم" و"تدوة الإبداع" بالتنسيق والتعاون مع بلدية بعلبك في قصر الأونيسكو. تدخل القاعة، تجد أن لا صورة لرئيس جمهورية ترتفع فوق المسرح، فتنتبه إلى أننا في فراغ رئاسي. وحتى لو غصّت القاعة الكبرى بالناس والشخصيات، لن نقع إلا على ممثل للرئاسة الثانية النائب غازي زعيتر وللرئاسة الثالثة القاضي عمر الناطور ولا ممثل للرئاسة الأولى! القاعة غصت لكن هذا لا يعني أن كثافة الحضور استمرت حتى انتهاء حفل التكريم... والسبب أن المداخلات كانت طويلة وكرّر معظم المحاضرين الأفكار عينها. اوضحت رئيسة اللجنة المنظمة الشاعرة والدكتورة سلوى الخليل الأمين أن "شاعرنا الكبير جودت حيدر لم يتنازل عن لغته الأم، وإنما أراد أن يثبت للعالم، وهو ابن هذا الشرق العربي، أن الإبداع اللبناني الغد، يستطيع أن يخترق الحدود، متخطياً المسافات، ولو عبر قرض الشعر بلغة ثانية، بز بها شاعرنا أبناء بجدتها". وتوجهت إلى الراحل مؤكدة له: "ستبقى أصواتك هوى النسائم المستريحة فوق مهود بعلبك وقمم لبنان العاليات، وستبقى أصدائك متألّفة مع شعلة الحياة".

إحياء التراث

وعبر رئيس بلدية بعلبك بسام رعد عن أساه وأسى كل مواطن بعلبكي لرحيل ابن بعلبك البار جودت حيدر. ووفاء له أعلن باسم المجلس البلدي لمدينة بعلبك قراراً بتسمية ساحة على المدخل الجنوبي للمدينة باسم الشاعر جودت حيدر. وقال إنه "أولى بنا إحياء تراثنا، وجل ما فيه مجيد ومشرف، نظراً للصلوات والوشائج المتينة بين تراث الأمة

الفكري وبين قدراتها الآتية على صنع النصر". ثم شاهد الحضور مقتطفات من قصائد للشاعر ألقاها على منابر أجنبية، قبل أن يتحدث رئيس الجامعة اللبنانية الأميركية جوزف جبراً متأسفاً لرحيل الشاعر وهو ينتظر "الخبر السعيد بفوزه في المسابقة العالمية للشعر الإنكليزي" وكان بلغ التصفية النهائية بين عشرة شعراء من ألمانيا وإنكلترا وأستراليا، والولايات المتحدة وجنوبي أفريقيا. ولفت إلى أثره التربوي كمدير للكلية الوطنية في عاليه، وكلية النجاح الوطنية في نابلس وإلى أثره الإداري مسؤولاً في شركة النفط العراقي ثم المدير العام للشرق الاوسط في شركة تجارية كبرى في بيروت، لكنه، أكد أن "أثره الشعري الأكبر والأقوى والأبقى طالعا من قصائده بالإنكليزية والعربية.

ثم كانت مداخلته بأسلوب شعري لمحافظ البقاع الاسبق الدكتور دياب يونس تحت عنوان "تحدّيت لعنة بابل" وأقام حواراً بين ابن البقاع الذي يلوم الشاعر للجوء إلى اللغة الإنكليزية كأداة تعبير، فأجاب "لبنان حديقة اللغات. ومهد الحرف، هو موطن الإنسان. كن من تشاء يا إنسان، فلانت أخي. أنا رسول حب ونبل وروح إليك. سأرسل أصواتاً تذركم بصوت جبران في نبيته، سأنقل أصداء تبعث "مرداد" النعيمة، سأبسط لكم "أفياء" كتلك التي نشرها الريحاني في "خالده" الخالد". وغنت الفنانة سحر طه شعراً كتبه إلى زوجته حين ووريت الثرى بشكل رائع صمت له الجميع. قبل أن يعتلي المسرح الشاعر خريستو نجم ممثلاً رئيس جامعة البلمند إبلي سالم.

تطرّق نجم في مداخلته إلى طفولة الشاعر الذي التحق بوالده وإخوته الذين انتقلوا إلى الأناضول بعد وفاة والده. كان يقول عنهما: "كان يرضيني وجودي بجانب أمّ رؤوم، تحنو عليّ وتغمرني بالعطف والحنان". وتحدث عن معاناته "الأوديبية" التي جعلته في طفولته يعتمد الاتصال فقط بالأوممة. ولكن بعد رحيل أمه يظهر أيضاً حبّه للأب". والشاعر الراحل كان مهتماً بالزراعة فانتسب إلى كلية الزراعة في جامعة الولايات المتحدة الأميركية. كما لفت إلى صلته في طرابلس وارتباطه بالشهيد الرئيس رشيد كرامي.

ولفت إلى ارتباطه بالقضية السياسية وخاض انتخابات نيابية لم ينجح فيها. ولم ينس الإشارة إلى أنه كتب بالعربية بعدما توفي ابنه بسام". ويبيّن لنا أن معاناة جودت حيدر في السياسة تعود إلى أيام اغتيال أخيه الوزير رستم في العراق. وتنسحب المعاناة إلى فقدان والده وأخواته وزوجته وابنه أيضاً.

أما الوزير السابق ميشال إده فنوّه بمبادرة جودت حيدر "لتريم تمثال شاعر القطرين خليل مطران، ابن بعلبك الكاثوليكي"، وأنها ليس تذكرة وفاء شاعر لزميل وحسب (...). ولا أرى إليها مجرد عربون وفاء مواطن بعلبكي لتراب له (...). أحسب أن تعلقه حتى الشغف بالتنوع الذي انفطر عليه وطنه اللبناني هو ما حدا به أساساً". ولفت إلى أن جودت حيدر "أدرك باكراً جداً أن هواء الإبداع إنما هو التنوع وليس التماثل. وأن ما يصنع الإبداع أو يطلقه هو ذاته الذي يطلق الحرية: ألا إنه الإبداع".

وفي النهاية كانت كلمة لوزير التربية والتعليم العالي الدكتور خالد قباني في المناسبة تطرّق إلى أنّ "التربوي الشاعر جودت حيدر المتحدر من أسرة كريمة أغنت الأمة بالعديد من المناضلين ورجالات الحكم والإدارة والعلم والشعر والفن والأدب، والذي أدرك باكراً مشاقّ العمل الوطني فذاق مرارة المنفى". مرّ على شباب الشاعر وتطوره فيها حتى وصل إلى أن أسفار شاعرنا تركت في البحر أثراً عميقاً في نفسه فبنى علاقة خاصة به، (...) عبر في شعره ن شغفه بالوطن والعمل على تخليصه من العبودية".

وفي الختام أعلنت أسماء الطلاب الجامعيين الفائزين بجائزة جودت حيدر الأدبية للعام 2007، وهم دبالا كبراة من جامعة البلمند وحلت في المرتبة الأولى (مليوناً ليرة)، مايا صفير من الجامعة اللبنانية حلت في المرتبة الثانية (مليون ونصف المليون ليرة) وميرين كلدجيان حلت في المرتبة الثالثة (مليون ليرة). قبل أن تكون كلمة الختام مع حفيد الشاعر جودت بسام حيدر.

يقول الشاعر جودت حيدر عن شعره "في أشعاري سكنون فلسفي ومحاولة اقتراب من الحياة الروحية التأملية عبر النور الباطن النابع من خلال الحقائق والوقائع".